المدارس في بغداد بعد الغزو المغولي المدرسة البشيرية أنموذجاً

Schools in Baghdad after the Mongol Invasion: Al-Bashīriyya School as a Model

ا.م. د. هيام عودة محمد Asst. Prof. Dr. Hiyam Oudah Mohammed
الجامعة المستنصرية – كلية الآداب – قسم التاريخ
Al-Mustansiriyah University – College of Arts – Department of History
dr.hiyamalamiry@uomustansiriyah.edu.iq

المقدمة :

يتضمن بحثنا المعنون (المدارس في بغداد بعد الغزو المغولي ، المدرسة البشيرية أنموذجاً) دراسة للوضع العام لمدارس عاصمة الخلافة العباسية بعد سقوطها على يد المغول سنة 656هـ / 1258م ، وإيضاح عظم شأن بغداد بعد أن فتح الخلفاء العباسيون أبواب عاصمتهم الجديدة بغداد أمام العلماء، واجزلوا لهم العطاء، وأضفوا عليهم ضروب التشريف والتشجيع؛ بغض النظر عن مللهم وعقائدهم ، فكان الخلفاء العباسيين علماءً ، وحماة للعلم، أسهم كثير منهم ومن ورجال العلم و الشخصيات البارزة في بغداد بتشجيع العلم وإنشاء المؤسسات العلمية ، ولم تكن نساء الخلفاء بعيدات عن هذا الدور فقد شارك بعضهن في تأسيس دور العلم التي خرّجت اعاظم العلماء؛ وفحول الكتاب والمؤلفين .

وبعد سقوط بغداد ومقتل الخليفة المستعصم بالله على يد المغول، كان للاحتلال آثاراً خطيرة في جوانب عدة منها : أثره على الحياة العلمية في العراق ، خاصه بعد ان غادرها من بقي من العلماء الى بلاد الشام ومصر ، وخُربت مدارس بغداد وأندثر بعضها تماماً وانقطع ذكرها ، وتوقف الدراسة في بعضها الآخر لمدة قاربت السنتين ، الا انها عادت من جديد ونهضت من كبوتها وجمعت علماؤها ، بعد أن صدر الامر بافتتاح المدارس في بغداد من جديد .

بعد سقوط بغداد على يد المغول حُكمت باسم المغول الايلخانيين مدة 82 عام (656هـ – 738هـ / 1258– 1338م) ثم أعقبهم الحكم الجلائري الذي لم يستمر لأكثر من 57 عاماً حتى احتل تيمورلنك بغداد سنة 795هـ / 1392م ..

قسم البحث الى مقدمة وعدة مواضيع تناولت المدرسة البشيرية من حيث التسمية والموقع والنظام الاداري والعلمي للمدرسة ، وابرز المدرسين الذين كان لهم الاثر في التدريس داخل المدرسة البشيرية خلال العهود الثلاث موضوع الدراسة ، الى ان اختفى ذكرها دون تحديد مصيرها من قبل المؤرخين . تلتها خاتمة وقائمة بالمصادر والمواجع .

المدرسة البشيرية ، المدارس ، الغزو المغولي ، بغداد–العصر العباسي

Abstract

This study, entitled "Schools in Baghdad After the Mongol Invasion: The Al-Bashiriyya School as a Model", explores the status of educational institutions in Baghdad—the capital of the Abbasid Caliphate—following its fall to the Mongols in 656 AH / 1258 CE. The research aims to highlight the profound impact the invasion had on the structure of education by tracing the condition of Baghdad's schools, with a particular focus on the Al-Bashiriyya School as a case study.

During the Abbasid era, Baghdad attained a distinguished scholarly status. The caliphs opened the gates of their capital to scholars of various religions and creeds, generously supporting and honoring them. Many of the caliphs themselves were men of learning, and women from the Abbasid court also played a role in founding educational institutions that produced prominent scholars, writers, and intellectuals.

However, the Mongol invasion and the killing of Caliph Al-Mustaʿṣim Billāh cast a dark shadow over intellectual life in Iraq. Many scholars fled to the Levant and Egypt, schools were destroyed or abandoned, and educational activity ceased in some for nearly two years. Nevertheless, Baghdad gradually recovered, and the scholarly community regrouped after official decrees ordered the reopening of schools and the resumption of teaching.

Baghdad remained under the rule of the Mongol Ilkhanids for 82 years (656–738 AH / 1258–1338 CE), followed by the Jalayirid dynasty, which lasted no more than 57 years, before the city was again invaded by Timur in 795 AH / 1392 CE.

This research is divided into an introduction and several thematic sections that address the Al-Bashiriyya School in terms of its name, location, administrative and academic system, and the most prominent scholars who taught there during the three historical periods under study. It concludes with an epilogue and a list of sources and references, noting that the school eventually disappeared from historical records without a clear account of its fate.

Keywords: Al-Bashīriyya School – Educational Institutions – Mongol Invasion – Baghdad – Abbasid Era

أولاً / المدرسة البشيرية

حفلت بغداد منذ اواسط القرن الخامس الهجري/ القرن الحادي عشر الميلادي، بإنشاء عدد كبير من المدارس التي كان لها الاثر البارز في نشاط الحركة العلمية وازدهارها ، حتى وصل عددها الى ثلاثين مدرسة عام 580هـ/ 1184م حسب قول الرحالة ابن جبير الذي زار بغداد في هذا العام ، وفي زمن الدولة المغولية تم أنشاء 14 مدرسة بالإضافة الى دور العلم الكثيرة من دور القرآن ، دور الحديث ، الكتاتيب، مجالس المناظرات وغيرها ، وكانت هذه المدارس تحظى بالاهتمام والرعاية من مختلف طبقات المجتمع الذين قاموا بتشييد هذه المدارس، وإقامة الاحتفالات الكبيرة عند افتتاحها والمشاركة في حضورها، كما قاموا بتعيين العلماء والمدرسين للتعليم داخلها ، والموظفين لخدمتها، وترتيب الطلاب والدارسين بها، وتهيئة المساكن لهم، وجميعهم يحصلون على رواتب شهرية ، لينصرفوا إلى العلم، ولا ينشغلوا بغيره. لتكون مواردها المالية ثابتة فقد كانت توقف على هذه المدارس الأوقاف الكثيرة ، مما يضمن لها الاستمرار في أداء رسالتها على الوجه الأكمل دون اي تدخل خارجي (الحنبلي ع.، 2009، صفحة 54)

ثانياً / الموقع والتسمية

تقع المدرسة البشيرية في الجانب الغربي من بغداد (الكرخ) باتجاه قطفتا " احدى محلات الجانب الغربي من بغداد " (الحموي، 1977، صفحة ج4، 374)، وتم أنشاءها خلال عهد الخليفة المستعصم العباسي على يد زوجته المعروفة باسم " باب بشير " نسبة الى خادم بابها المسمى " بشيراً " (سوسة، 1958، صفحة 191) وسُميت المدرسة نسبة لها ، بدأ بناء المدرسة سنة 649هـ (الفوطي، 2003، صفحة 201)، وأوقفت عليها الاوقاف الكثيرة فتم بناءها بأربع سنوات حتى أفتحت يوم الخميس 13 جمادي الآخرة 653 هـ / 1255، أي قبل سقوط بغداد على يد المغول بثلاث سنوات، وحضر الافتتاح الخليفة المستعصم العباسي و أولاده (معروف، 1966، صفحة 23) ، وحضر الوزير وأرباب المناصب ومشايخ الربط والمدرسون الذين تم اختيارهم للتدريس في المدرسة ، وتم توزيع الخلع على المدرسين وعلى الناظر بها ، ومعهم نوّاب العمارة ، والفراشين ، وخدم القُبة ، كما أنشدت الاشعار اثناء الاحتفال ، فكان يوماً مشهوداً (معروف، تاريخ علماء المستنصرية ، 1975، صفحة ج1، 30)

والسيدة البشيرية والملقبة بباب بشير هي حظية المستعصم العباسي وزوجته وأم ولده الامير ابي نصر محمد ، كان لها اهتمامات علمية فسعت الى انشاء مؤسسات علمية في بغداد ، فقد أمرت ببناء المدرسة ودار القرآن في الجانب الغربي لبغداد ، فافتتحت دار القرآن بحضورها في شعبان سنة 652هـ / 1254م ، الا ان السيدة البشيرية توفيت في 9 شوال من نفس العام ، دون أن تحضر افتتاح مدرستها التي حملت أسمها ، ودفنت تحت القُبة التي أعدتها بجانب المدرسة البشيرية ، وتوفي بعدها ابنها الامير ابي نصر في 12 ذي القعدة ودفن الى جوارها (الفوطي، 2003، صفحة 212) ويبدوا ان اطلاق اسم السيدة البشيرية على المدرسة كان تخليداً لاسمها وذكرها بعد وفاتها .

ثالثاً / النظام الاداري والعلمي للمدرسة :-

حفلت بغداد بالمدارس العلمية، لا تضاهيها أي مدينة في العالم الاسلامي ، وكان في بغداد عند احتلالها من قبل المغول (٣٨) مدرسة (الدرويش، 2014، صفحة 484)

كانت المدرسة البشيرية مشابهه للمدرسة المستنصرية ، فهي من ضمن المدارس التي درست المذاهب الاربعة فيها (معروف، نشأة المدارس المستقلة في الاسلام ، 1966، صفحة 17)، والتي أنشأها الخليفة المستنصر بالله العباسي كأول جامعة علمية كبرى في العالم الاسلامي بل في العالم أجمع – حسب مفهوم الجامعة في الوقت الحالي – تناولت تدريس الفقة على المذاهب الاربعة (الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي) ،

وتدريس التفسير ، وعلوم القرآن ، والحديث ، والطب ، والعربية ، والرياضيات ..الخ ، في بناية واحدة ، وعلى أثرها بُنيت مدارس كثيرة في البلاد العربية الاسلامية حملت صفتها حتى بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد عام 656هـ/ 1258م (معروف، نشأة المدارس المستقلة في الاسلام ، 1966، صفحة 17) حيث كثرت المدارس على المذاهب الاربعة (الادمي، 2003، صفحة 66) والتي تجاوز عددها في العراق ومصر والشام والحجاز على سبعة عشر مدرسة يمكن عدها جامعات لتدريس المذاهب الفقهية الاربعة (معروف، نشأة المدارس المستقلة في الاسلام ، 1966، صفحة 17)

حيث عُدت المستنصرية قدوة لمؤسسي المدارس من الرجال والنساء في العراق ومصر والشام والحجاز ، فشرعوا في بناء مدارسهم على صفتها ، وربما بنوها على غرارها أيضاً من حيث هندسة البناء ، واحتوائها على الاواوين الأربعة لمدرسي المذاهب او على دروس الطب والتفسير والحديث وكما تحتوي على مخازن ودوراً للكتب وعلى مرافق الاخرى (معروف، تاريخ علماء المستنصرية ، 1975، صفحة ج1، 30)

رابعاً / خزانة الكتب (مكتبات المدارس)

لابد من التطرق الى ما توفر من كتب ومؤلفات داخل مكتبات المدارس ، فقد أهتم الخلفاء العباسيين في العهود العباسية المتأخرة بخزانات الكتب داخل المدارس البغدادية كالمستنصرية والنظامية حيث كانت تقاس كمياتها بالأحمال (الفوطي، 2003، صفحة 201)، وكذلك البشيرية التي كانت تضم خزانة ضخمة ونفيسة من الكتب بقولهم : " ونقل اليها من الكتب ما حمل على سته وثلاثين صندوقاً بالخطوط المنسوبة والنسخ المضبوطة منها ما هو بخط أبن البواب سبعون قطعة ، ومصحف كريم بخط علي بن الحسين (عليه السلام) ، ومصحف بخط أبن البواب ، الى غير ذلك " (الغساني، 1975، صفحة 168).

الا ان هذه المكتبات (خزانات الكتب) نهب منها ما نهب ، وحرق منها ماحرق خلال الغزو المغولي لبغداد سنة 656هـ/ 1258م ومنها المدرسة البشيرية حيث ذكر احد الباحثين أن **خزانة الكتب** في المدرسة البشيرية والتي كانت تضم الكثير من الكتب ، لم يبق منها الا مجلداً واحداً ، فقد أتلفت الخزانة كغيرها من مكتبات المدارس في بغداد أثناء الغزو (الدرويش، 2014، صفحة 105)

فكان هناك اشارات كثيرة للمؤرخين عن مصير كتب العراق اثناء الاحتلال المغولي أفاضت بذكر تمادي هولاكو في التعسف والتخريب والتدمير ببغداد فلم يبق فيها أثراً للمخطوطات القديمة والذخائر الثمينة التي كانت

مكنوزة منذ قرون في قصور الخلفاء وبيوتات الأمراء بعد ان دخل المغول بغداد وخربوا المكتبات واتلفوا الكتب التي بها اما بإحراقها او برميها في نهر دجلة حتى تغير الماء فيه من مادة الكتابة أيامًا ، فضاعت الثروة الادبية والفنية التي سهر على جمعها خلفاء بني العباس منذ أن اتخذوها عاصمة لهم وأصبحت أثراً بعد عين ، و تحولت بغداد الى خراب وتحولت الكتب الى تلال من الرماد (الدرويش، 2014، صفحة 498)

الا ان بغداد لم يؤثر في سيرها ضياع الكتب واندثار أغلب المكتبات وحمل محتوياتها الى مراغة ، فقد كانت هناك بقية باقية تغذي العقول ، وتحبب العلوم وتمكنها من استعادة مكانتها في البلاد ، هذا ولم يتوقف العراق عند مؤسساته القديمة أو بقاياها انما أسس مدارس جديدة وان لم تكن بالقدر والقوة التي كانت خلال عهد الخلافة العباسية .. (العزاوي، 1935، الصفحات ج1، 605-605)

خامساً / علماء المدرسة البشيرية خلال العصر العباسي

شهدت المدرسة البشيرية تدريس نخبة من العلماء البارزين في مختلف العلوم الشرعية واللغوية، وقد كان لهم إسهامات جليلة في مجالات الفقه، والحديث، واللغة العربية، والأدب، مما جعل المدرسة البشيرية منارة للعلم في بغداد ، على مختلف عصورها . ومن أبرزهم:

- سراج الدين النهرقلي أقضى القضاة ، كان المدرس في المدرسة البشيرية سنة افتتاحها اي سنة 653هـ/ 1255م (الفوطي، 2003، صفحة 222)
- شرف الدين عبدالله بن استاذ الدار درس في المدرسة سنة 653هـ/ 1255مـ (الفوطي، 2003، صفحة 222)
- محي الدين ابن الجوزي درّس فيها سنة 653هـ/ 1255مـ (الفوطي، 2003، صفحة 222)
- نور الدين محمد بن المغربي الخوارزمي الحنفي سنة 653هـ/ 1255م (الفوطي، 2003، صفحة 222)

- علم الدين أحمد بن الشرمساحي المالكي ، من مدرسي المدرسة سنة 653هـ/ 1255م (الفوطي، 2003، صفحة 223) ، الا انه انتقل من تدريس المدرسة البشيرية الى المستنصرية بعد وفاه أخية الشيخ سراج الدين عبدالله بن الشرمساحي المالكي سنة 669هـ / 1270م (العزاوي، 1935، صفحة ج1، 269)

سادساً / المدرسة في العهد المغولي (الايلخاني) (656- 756هـ/ 1258- 1335)

أصبح العراق في قبضة المغول و ولاية من ولايات دولتهم التي عرفت في التاريخ باسم الدولة المغولية الايلخانية ([1]) وعاصمتها تبريز (654- 756هـ /1256- 1335) ، وعلى الرغم مما أصاب العراق وبغداد على وجه الخصوص، من جراء الغزو المغولي من الدمار و مقتل مئات الألوف من أهلها، وكان فيهم كبار العلماء والشيوخ ورواد المعرفة، كما هدمت الكثير من المساجد وتعطلت المدارس، ودور العلم، وتم محي الكثير منها واتلاف الكتب العلمية ، وقضي على الكثير من معالم الثقافة، وصروح المعرفة ، ومع ذلك فإن من العناية الإلهية، والألطاف الربانية أن ذلك لم يدم طويلاً ، إذ بعد عام واحد تقريبا من سقوط بغداد بدأت الحياة العامة

[1] **الدولة الايلخانية :** نسبة الى الايلخانيين ، جمع ايلخان ، وهي كلمة مركبة من لفظين هما : أيل بمعنى تابع ، و خان بمعنى حاكم ، فكان لقباً يطلق على من يتولى الحكم في احدى ولايات الدولة المغولية ، واصطلح على اطلاق هذا اللقب على الدولة المغولية في أيران و العراق منذ عهد هولاكو وحتى نهاية هذه الدولة . العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج1، ص 178

والعلمية والحركة الثقافية تعود اليها ، بفضل الله تعالى ثم بعناية عماد الدين عمر القزويني([2])والي العراق نيابة عن الأمير المغولي (قرابغا) فقام بعمارة ما انهدم من المساجد والمدارس والربط وترميم ما خرب منها، وشجع العلماء وطلاب العلم على إحياء العلوم، ونشر الثقافة العربية الاسلامية من جديد ، وقرر لهم الرواتب ، فقد فتح المدارس والربط، وأثبت الفقهاء، والصوفية، وأدر عليهم المشاهرات (الدرويش، 2014، صفحة 494) ، وكانت له في ذلك آثار حسنة، كما ذكر المؤرخ ابن الفوطي الحنبلي (ت ٧٢٣هـ/ 1322م) ذلك بقوله : " **لما أنفذ الله قضاءه وقدره، وقتل الخليفة، وخربت بغداد، وأحرق الجامع وعطلت بيوت العبادات، تداركهم الله بلطفه فأتاح لهم عناية (عماد الدين) فقدمها وعمر المساجد والمدارس، ورمم المشاهد والربط، وأجرى الجرايات في وقوفها للعلماء، والفقهاء، والصوفية، وأعاد رونق الإسلام بمدينة السلام، وفض على الأئمة الخيرات**" وبعض ما قال فيه الشيخ ابو المناقب (الفوطي ك.، 1996، صفحة ج2 ، 126) :

أحيا المدارس من بعد الدروس بال قاء الدروس حياة الارض بالمطر

وعاد كل رباط بعدما هجرت أرجاؤه عامراً بالذكر والســـــهر

رددتَ للجامع المعمور زينته الاولى وأثّرت فيه أحسن الاثـــــر

فيه صلاة وتذكير وموعظــة وجمعة وفنون البحث واســـنظر

مما يؤكد عودة الحياة العلمية الى بغداد بعد سنة واحدة من سقوطها ، فقد أستؤنفت الدراسة في المدرسة المستنصرية سنة 657هـ/ 1258م، وفي المدرسة النظامية سنة 658هـ /1259، واستؤنفت في المدارس الاخرى بعد ذلك (الحنبلي ع.، 2009، صفحة 51) ومنها المدرسة موضوع الدراسة (معروف، تاريخ علماء المستنصرية ، 1975، الصفحات 34–35). فنشطت بذلك الحياة العلمية في بغداد، وجدّ العلماء وطلاب العلم في وإعادتها

[2] عماد الدين ابو المعالي عمر بن صدر الدين محمد بن ابي العز القضوي القزويني : من اعيان اهل قزوين المعروفين بمتانة الدين وحُسن اليقين ، المتولي على العراق ، بسبب نزاع حدث بينه وبين عطا ملك الجويني سنة 658هـ ، سُعي بع عند هولاكو فقُتل سنة 660هـ . (ابن الفوطي ، كمال الدين ابو الفضل عبدالرزاق بن احمد الشيباني (ت 723هـ) ، مجمع الآداب في معجم الالقاب ، تحقيق : محمد الكاظم ، طهران، 1996 ، ج2، ص 125– 126)

إلى سالف عهدها، ومما ساعدهم على ذلك إسلام السلاطين المغول وعلى رأسهم السلطان محمود غازان (ت703 هـ/ 1303م) وما حصل منهم من تغيير في مسرى سياسة الدولة المغولية في عهده فدعا الى العمل بالأحكام الاسلامية ، ورعاية للعلم والتشجيع عليه (الحنبلي ع.، 2009، صفحة 43) فقد زار السلطان محمود غازان (ت703 هـ/ 1303مـ) بغداد سنة (٦٩٦هـ/1296م) ودخل المدرسة المستنصرية، وتجول في أقسامها واطلع على خزانتها، و رحب به علماؤها، ومن بعدها استمرت الحركة العلمية في نشاط وازدهار ، ولم ينقض القرن السابع الهجري / القرن الثالث عشر الميلادي ، حتى استعادت بغداد كثيرًا من مكانتها العلمية قبل السقوط، وكثرت فيها المساجد والمدارس والمعاهد، ودور العلم، التي زُينت بالعلماء البارزين وطلبة العلم والدارسين (الفوطي ك.، 2003، صفحة 333)

وعندما زار ابن بطوطة (ت 779هـ /1377م) بغداد سنة 727هـ / 1326م تحدث عن جانبيها الغربي والشرقي وأكد على كثرة المدارس التي خرب أغلبها وقد اشاد بأهم مدرستين وهما المدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية (بطوطة، 2017، الصفحات 158- 159) ، وأتفق معه المستوفي القزويني الذي أشار الى كثرة المدارس في بغداد وبروز المستنصرية والنظامية على غيرها من المدارس آنذاك (خصباك، بغداد، صفحة 236) مما يؤكد عودة المدارس من جديد وأشارته الى المدارس الاخرى ومنها المدرسة موضوع الدراسة .

عند الحديث عن المدارس خلال فترة المغول الايلخانيين لابد من ذكر ان ادارة المدارس كانت مودعة غالباً الى قاضي القضاة أو الى صدر الوقوف ينظر فيها ، ويسيطر على أوقافها ويدير أمورها ، فلم يهمل شأنها ولم تودع بيد من هو غريب عن الاسلام ، مما نجم عن ازدياد فوائدها في الجوانب الحضارية والثقافية دون أي معارضة سياسية .

أما علماء المدرسة البشيرية خلال العهد الايلخاني فيمكن القول أن المدرسة البشيرية عاصرت ثلاث دول حكمت بغداد ، فلم تنته مهمتها التدريسية بنهاية دولة بني العباس وانما استمرت مهامها زمن الدولة الثانية التي حكمت بغداد وهي الدولة الايلخانيه دولة هولاكو خان واولاده ، وشاركتها في ذلك مدارس أخرى كالمدرسة النظامية والمستنصرية ومشهد ابي حنيفة، فالمدرسة البشيرية تميزت باستمرار دورها التعليمي المؤثر في تلك العصور المتعاقبة لا يقل شأناً عن التدريس في زمن الدولة العباسية . ومن ابرز علماء هذه الفترة ممن كان لهم الاثر في التدريس داخل المدرسة البشيرية :-

- تقي الدين ابو الميامن مظفر بن ابي بكر البغدادي المعروف بالحاج (ت662هـ / 1284م) عالماً بالفقه والاصول ، وبعد وفاته صلي عليه بالمدرسة البشيرية (الحنبلي ع.، 2005، صفحة ج2، 426)

- الشيخ فخرالدين الطهراني تولى التدريس بالمدرسة البشيرية حتى وفاته سنة 659هـ/1260م 1269م . (الدروبي، 1958، صفحة 292)
- الشيخ نورالدين علي ابن الاطلبي الحنفي ، الذي تقدم مدرساً في المدرسة البشيرية سنة 668هـ / 1269م عوضاً عن فخرالدين الطهراني بعد وفاته (الفوطي ك.، 2003، صفحة 260)
- قاضي القضاة سراج الدين محمد بن ابي فراس الهنايسي : فقيهاً وتولى التدريس في المدرسة البشيرية ، ثم ولي القضاء ، توفي اخر رمضان سنة 670هـ / 1271م ، ودفن في الضفة المقابلة للشيخ معروف (العزاوي، 1935، صفحة ج1، 373).
- تاج الدين عبد الرحيم بن يونس الموصلي الشافعي، كان قاضياً في الجانب الغربي من بغداد، وأضيف اليه التدريس في المدرسة البشيرية ، كان رجلاً فاضلاً وعالماً ، له العديد من المصنفات ، توفي سنة 671هـ / 1272م (العزاوي، 1935، صفحة ج1، 374).
- صدر الدين بن محمد بن شيخ الإسلام الهروي، الذي تولى القضاء في الجانب الغربي من بغداد والتدريس في المدرسة البشيرية سنة 677هـ/1278م بعد وفاة تاج الدين بن يونس الموصلي ، الا انه توفي بعد شهرين ، وقال اكثر الناس أن ولده خنقه ، حتى قال الشاعر زين الدين بن الدهان :- (الدروبي، 1958، صفحة 292)

أظن قاضي القضاة أيده الله الى كـــرد كوه ينتســـب
اذ كل قاض يقضي الى الجانب الغر بي يقضي ومالــه ســـبب
يا صاحب الملك يا عطـــا ملك يا من به المكرمات تكتسب
وَلَّ الاعادي اللئام الجانب الغر بي فصل القضاء وقد نــكبوا

- مجد الدين علي بن جعفر ، انتقل من التدريس في المدرسة النظامية الى المدرسة البشيرية سنة 682هـ / 1283م. (الفوطي ك.، 2003، صفحة 300)
- الامام ابو طالب نور الدين عبد الرحمن البصري العبدلياني الفقيه الضرير ولد في قرية عبدليا بنواحي البصرة سنة624 هـ / 1226م ، قدم بغداد ودرس بالمدرسة البشيريه سنة 662هـ /1263م ، من بعدها نقل للتدريس في المدرسة المستنصرية ، له عدة تصانيف منها جامع العلوم في تفسير كتاب الله الحيّ القيّوم ، الحاوي في الفقه ، وبعد وفاته دفن في مقبرة باب حرب ببغداد سنة 684هـ / 1285 م (العزاوي، 1935، صفحة ج1، 379)

- شمس الدين ابو عبدالله محمد بن محمود الجيلي ، نزيل بغداد ، تولى تدريس المذهب الحنبلي في المدرسة البشيرية ، وكان أماماً ، فقيهاً ، عالماً ، فاضلاً ، له مصنف في الفقه سماه الكفاية ا لا انه لم يتمه ، توفي في بغداد في 10 جمادي الاولى سنة 723هـ / 1323م (العزاوي، 1935، صفحة ج1، 538).
- جمال الدين بن عبد الله بن العاقولي ، الشافعي ، درّس بالمدرسة المستنصرية ، وأفتى لأكثر من ستين سنة ، وعين لقضاء القضاة ، وكان عالماً فاضلاً شجاعاً قوي النفس ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، " أعطي حظاً من الفتوى حتى لو كتب على الفتوى جميع من بالعراق لم يلتفت الا لخطه " (السلامي، 2000، صفحة 60) كان ذو هيبة و وقار ، تولى التدريس في المدرسة البشيرية بعد عزل صدر الدين محمد بن شيخ الاسلام سنة 684هـ / 1285م (الفوطي ك.، 2003، صفحة 307) ، توفي يوم الاربعاء 24 شوال سنة 728 هـ / 1327م ببغداد ودفن بداره (الحنبلي ع.، 2009، صفحة 57)
- القاضي جمال الدين أحمد المعروف بأبن عصبه البغدادي(ت 720هـ / 1307 م) (الحنبلي ع.، 1986، صفحة ج8، 67) زمن السلطان الحلائري ابو سعيد بهادر حفيد هولاكو الذي ولي القضاء في شرق بغداد ودرس للحنابلة بالمدرسة البشيريه.
- جمال الدين يوسف بن عبد المحمود بن عبدالسلام البتي البغدادي (ت 726هـ / 1306م ، مقرئ ، فقيه ، اديب ، نحوي ، درّس للحنابلة بالمدرسة البشيريه وصفوه فقالوا نحوي العراق ومقرأه (الحنبلي ع.، 2009، صفحة ج4، 463)
- العلامة تقي الدين عبدالله بن محمد بن ابي بكر بن اسماعيل الزريراني الحنبلي (ت729هـ / 1339م) ، كان أماماً فاضلاً كثير النقل لفروع مذهبة مستحضراً لها ديناً فصيحاً ، مشكور السيرة ، ذو معرفة بالحديث والفرائض ، سافر الى دمشق واشتغل بها ، ثم عاد الى بغداد ودرّس بالمدرسة المستنصرية (السلامي، 2000، صفحة 59) ، و المدرسة البشيرية (الحنبلي ع.، 2009، صفحة 57)
- ابن عكبر البغدادي وهو نصير الدين احمد بن عبد السلام بن تميم بن ابي نصر بن عبدالباقي بن عكبر البغدادي المعمر الحنبلي ، تولى مشيخة المدرسة المستنصرية ، ومن ثم تدريس المذهب الحنبلي في المدرسة البشيرية ، الا انه فقد بصره آخر عمره ، كان فقيهاً ، فاضلاً ، عالماً في اللغة العربية ، توفي في جمادي الاولى ببغداد سنة 735هـ / 1334م (الحنبلي ع.، 2005، صفحة ج2، 426)

سابعاً / علماء المدرسة البشيريه في عهد الدولة الجلائريه (738- 814 هـ / 1337- سنة 1411م)

ادى النزاع على السلطة بين السلاطين المغول الى ضعف وانقسام الدولة المغولية الايلخانية ، وقيام حكومة مستقلة بالعراق عرفت باسم (الدولة الجلائرية) (الحنبلي ع.، 2009، صفحة 44)، حيث أستولى الشيخ حسن الجلائري (1328 – 1256م)على بغداد ، وقضى على حكومة المغول فيه ، وأسس حكومته الجديدة باسم الدولة الجلائرية ، والجلائريون قبيلة كبرى من قبائل المغول – فرع من قبيلة الفا– حكمت العراق لفترة طويلة وكان لهم خلالها العديد من الانجازات الادارية والعلمية ، فقد حافظوا على المدارس القديمة وساهموا بإنشاء عدد من المدارس الجديدة التي كان لها الاثر خلال فترة حكمهم للعراق ، ومن المدارس التي يرد ذكرها المدرسة موضوع البحث التي استمرت بممارسة نشاطها العلمي خلال العهد الجلائري (طرطور، 1987، صفحة 7) . من ابرز من درّس من العلماء في المدرسة البشيرية خلال هذه الفترة :

- صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت 739هـ / 1338 م) ،عالم بغداد في عصره ، كان عالماً بالفرائض ، شغل مهنة التدريس في المدرسة البشيرية للحنابلة وكما درّس في المدرسة المستنصرية والمجاهدية ، له عدة مؤلفات في الفلك والتاريخ والجغراقية وغيرها (طرطور، 1987، صفحة 90)، ومن مؤلفاته معجم في رجال الحديث ، كتاب مراصد الاطلاع في الأمكنة والبقاع وغيرها (عبدالحق، 1992، صفحة ج1، 2)
- شرف الدين أبو محمد عبد الرحيم بن عبد المالك البغدادي الحنبلي ، ولد ببغداد وبها نشأ وسمع الحديث ثم رحل الى دمشق ومصر ثم عاد الى بغداد ، ودرس بالمدرسة البشيريه والمدرسة المجاهدية وناب في القضاء ببغداد حتى وفاته سنة 741هـ /1340 خلال حكم بغداد من الشيخ حسين الجلائري .
- شرف الدين عبد الرحيم بن عبد الله الزريراني (ت742هـ / 1341م) ، صاحب كتاب ايضاح المسائل المولود ببغداد وبها نشأ وقرأ القرآن وسمع الحديث ورحل الى دمشق ثم رجع الى بغداد ، ودرّس في البشيرية ، عاصر نهاية الدولة الايلخانية وبداية عهد الدولة الجلائريه . (الحنبلي ع.، 2009، صفحة 44)
- القاضي جمال الدين عبد الصمد بن ابراهيم بن خليل المعروف بابن الخضري الحنبلي ، محدث بغداد والمدرس في البشيريه ، له ديوان شعر وخطب ووعظ توفي سنة766هـ / 1364م (الدروبي، 1958، صفحة 292)
- ابو الحسن حيدرة بن محمد العباسي الحنفي (ت 767هـ /1365م) (الدروبي، 1958، صفحة 57)
- غياث الدين أبو المكارم محمد بن أبي الفضل بن على بن ثابت الواسطى البغدادي الشافعي ، المعروف بابن العاقولي ، ولد في بغداد سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) ، قام بالتدريس في المدرستين المستنصرية والنظامية وسائر مدارس بغداد ، توفي سنة 797هـ / 1394 (طرطور، 1987، صفحة 84)

الخاتمة

كنا نستعرض من خلال بحثنا المعنون (المدارس في بغداد بعد الغزو المغولي المدرسة البشيرية أنموذجاً) دراسة الوضع العام للمدارس بعد سقوط الخلافة العباسية وابتداء فترة الحكم المغولي للعراق باسم الحكم الأيلخاني ، ومن بعده الحكم الجلائري . وقد تبيّن لنا :-

1- اهتمام الخلفاء العباسيين بإنشاء المدارس وتطويرها على يد الخلفاء العباسيين ورجال الدولة على الرغم من الضعف الذي انتابها في عصورها المتأخرة .
2- شُيدت المدرسة البشيرية على يد السيدة باب بشير زوجة الخليفة العباسي المستعصم بالله ، والتي كان لها اهتمامات واضحه بنشر العلوم وبناء المؤسسات العلمية من دور القران والمدارس ، فكانت المدرسة البشيرية آخر عمل أمرت بإنشائه الا انها توفيت قبل اتمامها ، ودفنت تحت القُبة التي أعدتها بجانب المدرسة البشيرية، لهذا أطلق أسمها على المدرسة تخليداً لذكرها .
3- صنفت المدرسة البشيرية من حيث الاهمية التاريخية كواحدة من الجامعات التاريخية الأربعة في بغداد، إلى جانب المستنصرية، العصمتية، والمسعودية، اذ تناولت تدريس الفقه على المذاهب الاربعة (الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي) ، وتدريس التفسير ، وعلوم القرآن ، والحديث ، والطب ، والعربية ، والرياضيات ..الخ
4- على الرغم من سقوط الخلافة العباسية على يد المغول سنة 656هـ / 1258 وغدت ولاية من ولايات دولتهم التي عرفت في التاريخ باسم الدولة المغولية الايلخانية ، ومن بعدها الدولة الجلائرية ، الا ان الحياة العلمية عادت الى الوجود بعد سنتين فقط نتيجة جهود بعض الولاة ورجال الدين والعلماء ، خاصة بعد اسلام سلاطين المغول وعلى رأسهم السلطان محمود غازان ، وما تبعه من تغيير في مسرى سياسة الدولة المغولية في عهده فدعى الى العمل بالأحكام الاسلامية واعادة افتتاح المؤسسات العلمية .
5- عادت المدرسة البشرية ومدارس بغداد الكبرى الى تصدر مكانتها العلمية خلال فترة الحكم المغولي .
6- لأهمية المدرسين في المدارس البغدادية فإننا نجد المصادر التاريخية تذكر اسماء المدرسين من الشيوخ وغيرهم ممن قاموا بمهمة التدريس في المدارس سواء بالتعيين او الانتقال من مدرسة الى اخرى ، ومن خلال تراجمهم يمكن التوصل الى معلومات مفيدة عن المدرسة .
7- لم تذكر المصادر نهاية المدرسة البشيرية ، فربما تعرضت للتآكل والهدم من مياه نهر دجلة كغيرها من المدارس والبنايات التي كانت تُنشأ بالقرب من نهر دجلة والتي تضررت بفعل الفيضانات التي كانت تصيب بغداد ، فهي لم تعد موجودة اليوم .

8- يمكن استخلاص الفكرة الاساسية من البحث في ان المجتمعات ذات الارث الثقافي والعلمي والحضاري لا يمكن ان تتوقف عن مسيرتها العلمية والثقافية للعالم مهما اصابتها كوارث ونكبات ،وما ان تجد الفرصة مواتية حتى تنهض من كبوتها وتستعيد قوتها وتبدأ من جديد في تنشيط مؤسساتها العلمية واستعادة مكانتها بين الامم .

قائمة المصادر والمراجع

ابراهيم الدروبي. (1958). *البغداديون اخبارهم ومجالسهم* . بغداد : مط الرابطة .

ابي المعالي محمد بن رافع السلامي. (2000). *تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار* . بلا مكان : مط الدار العربية للموسوعات .

اسماعيل بن العباس الغساني. (1975). *العسجد المسبوك ف الجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك* . بيروت : دار التراث العربي .

تقي الدين أحمد بن محمد بن علي الادمي. (2003). *المنور في راجح المحرر*. بيروت: دار البشائر الاسلامية.

جعفر حسين خصباك. (بغداد). *العراق ف عهد المغول الا يلخانيين (656- 736هـ / 1258- 1335م)* . 1968: مط العاني .

شعبان طرطور. (1987). *الدولة الجلائرية* . القاهرة : مط دار الهداية .

شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت الحموي. (1977). معجم *البلدان* . بيروت : دار صادر .

صفي الدين عبدالمؤمن البغدادي ابن عبدالحق. (1992). *مراصد الاطلاع في اسماء الامكنة والبقاع* . بيروت : مط دار الجيل .

عباس العزاوي. (1935). *موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين* . بغداد : مط بغداد .

عبد الحي بن احمد بن محمد ابن العماد الحنبلي. (1986). *شذرات الذهب في اخبار من ذهب* . دمشق : مط دار ابن كثير .

عبدالرح مٌ بن عبدالله بن محمد الحنبلي. (2009). *ا يضاح الدلائل ف الفرق بين المسائل*. المملكة العربية السعودية: مط دار ابن الجوزي.

عبدالرحمن بن احمد ، ابن رجب الحنبلي. (2005). *كتاب ذيل طبقات الحنابلة ، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان*. الرياض: مط العبيكان.

عبدالمنعم حامد ، عبدالستار مطلك الدرويش. (2014). تأثير الغزو المغولي على الحياة العلمية في بغداد. *مجلة مداد الآداب، عدد 5* .

كمال الدين ابو الفضل عبدالرزاق بن احمد الشيباني. (1996). مجمع *الاداب في معجم الالقاب* . طهران .

كمال الدين ابو الفضل عبدالرزاق بن احمد الشيباني ابن الفوطي. (1996). *مجمع الاداب في معجم الالقاب ، تحقيق محمد الكاظم*. طهران.

كمال الدين ابي الفضل عبدالرزاق الشيباني ابن الفوطي. (2003). *الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في اعيان المائة السابعة* . بيروت : دار الكتب العلمية .

محمد بن عبدالله بن جزي الكلبي المعروف ابن بطوطة. (2017). *رحلة ابن بطوطة* . القاهرة : مؤسسة هنداوي .

مصطفى جواد واحمد سوسة. (1958). *دليل خارطة بغداد المفصل*. بغداد: مط المجمع العلمي العراقي.

ناجي معروف. (1966). *نشأة المدارس المستقلة في الاسلام* . بغداد : مط الازهر .

ناجي معروف. (1975). *تاريخ علماء المستنصرية* . بغداد : مط الشعب .